مـا زِلْـتُ أَلْـقـى صُـدورَ الـخـيَـلِ مُـنـدفـقـاً
بـالـطـعـن حـتـى يَـضِـجَّ الـسـرْجُ وَالـلَّـبَـبُ[١]
فـالـعُـمـيُ لَـوْ كـانَ فـي أجـفـانـهـمْ نـظـرُوا،
وَالـخُـرْس لـوْ كـان فـي أفـوَاهـهـم خـطـبـوا[٢]
وَالـنَّـقـعُ يـوْمَ طِـرَاد الـخـيـلِ يَـشْـهَـدُ لـي
وَالـضـرْبُ وَالـطـعـنُ وَالأقـلامُ وَالـكـتـبُ[٣]

للحلم وللجهل أوقات

يتهدد عمارة والربيع، ابني زياد العبسيين، معرضاً بذكر قومهما:

[الطويل]

لـغَـيـرِ الـعُـلا مِـنـي الـقِـلـى وَالـتّـجَـنُّـبُ،
وَلـوْلا الـعـلا مـا كـنـتُ فـي الـعـيش أرْغـبُ[٤]

(١) اللبب: ما يشدّ على صدر الدابة. يصف الشاعر فعله في المعركة؛ فصدور الخيل تتدافع إليه، فكلّ الفرسان تودّ مطاعنته، وهو يردّهم على أعقابهم هلكى وصرعى حتى لا يحتمل السرج واللبب كثرة فعاله بالأعداء.

(٢) تُلهم أعمال الشاعر من عِميَ أن يرى حقيقة فيرجع إليه بصره ومن صُمَّ أن يتفوّه واصفاً شجاعته وحسن بلائه وقد عادت إليه قوّة النطق؛ وتلك من معجزات عنترة غير المألوفة.

(٣) النقع: الغبار المثار في وسط المعركة. وهو لا يكتفي بذكر الخيل تشهد؛ فها هوذا يجعل الغبار المتصاعد الذي يُغطي جوّ المعركة يشهد له ويُثني على بطولته حتى الضرب والطعن من علائم البطولة تشهد له كذلك وسوف تذكر الأقلام والكتب فضائله وإنجازاته الحربية.

(٤) القِلى: البغض. يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع وجدانيّ: فهو يسعى دائماً =

مَـلـكـتُ بـسَـيْـفـي فُـرْصَـةً مـا اسـتـفـادهـا،
مـن الـدّهـرِ، مـفـتـولُ الـذّرَاعـيـنِ أغـلَـبُ[١]
لـئـنْ تَـكُ كَـفّـي مـا تُـطـاوِعُ بـاعَـهـا،
فَـلـي فـي وَرَاءِ الـكَـفّ قـلـبٌ مُـذَرَّبُ[٢]
وَلـلـحِـلْـمِ أوْقـاتٌ، وَلـلـجَـهْـلِ مـثـلُـهـا،
وَلـكـنّ أوْقـاتـي إلـى الـحِـلْـمِ أقْـرَبُ[٣]
أَصُـولُ عـلـى أبْـنـاءِ جـنـسـي وَأرْتَـقـي،
وَيُـعـجِـمُ فـيّ الـقـائـلـونَ، وَأُعْـرِبُ[٤]

= لتحقيق أمانيه في السمو بخطًى حثيثة، وهو يتجنب ما سوى ذلك، وحبّه للمعالي هو سبب تمسكه بالحياة.

(١) الأغلب من الأسود: الغليظ الرقبة. الحياة فرص، وقد واتته فرصة انتهزها الشاعر وسيفه بيده، فراح يضرب به في كلّ اتّجاه دفعاً للظلم، ولتحْطيم قيم اجتماعية فاسدة سائدة عمل على تغييرها وقد نجح إلى أبعد الحدود، في وقت خضع فيه الأقوياء لتلك القيم وما تمثّله.

(٢) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطهما المرء. المذرّب: المحدّد. تتطلب السيادة في مجتمع كهذا أن يكون المرء كريماً مِعطاءً؛ وقبيلة الشاعر كثيرة العدد يكثر فيها الفقراء، وصراع السادة يتمحور حول الحالة الاقتصادية في القبيلة، لذا فالشاعر يعتذر عن تقصيره في هذا المجال، وما يعوّض عن ذلك قلب مفطور على حبّ الخير، صادق الودّ، تملأه الرحمة للمحتاجين.

(٣) يقسم الشاعر أوقات المرء، فثمة وقت يعفو المرء عن المسيء وتارة يقسو فيبطش بالمسيء دون رحمة، في مجتمع تحكمه القوّة، ولكن أوقات الشاعر تحكمها القوّة القادرة على العفو رغم قدرتها على البطش.

(٤) أصول: أقوى. أبناء جنسي: من هم بمستواي. أعجم: أبهم ولم يبن. أعرب: أفصح. منطق الصراع في المجتمع الجاهلي يقتضي الغلبة دائماً، =

يَـرَوْنَ احْـتِـمـالـي عِـفْـةً فَـيَـرِيـبُـهُـمْ
تَـوَقُّـرُ حِـلْـمـي أنّـنـي لَـسْـتُ أغْـضَـبُ[١]

تَـجـافَـيْـتُ عَـنْ طَـبْـعِ الـلّـئـامِ لأنّـنـي
أرَى الـبـخـلَ يُـشـنـا وَالـمـكـارِمَ تُـطـلـبُ[٢]

وَأعْـلَـمُ أنّ الـجـودَ فـي الـنّـاسِ شِـيـمَـةٌ
تـقـومُ بـهـا الأحـرَارُ وَالـطّـبـعُ يَـغْـلِـبُ[٣]

فـيـابـنَ زِيـادٍ! لا تَـرُمْ لـي عَـداوَةً،
فـإنّ الـلّـيـالـي، فـي الـوَرَى، تَـتَـقـلّـبُ[٤]

وَيـا لـزِيـادٍ! إنْـزَعـوا الـظُّـلـمَ مِـنْـكُـمُ
فـلا الـمـاءُ مـوْرُودٌ وَلا الـعـيـشُ طـيّـبُ[٥]

= لذا فالشاعر يتفوّق في كفاح الأكفاء المماثلين، أمّا الضعفاء فإنهم لا يفهمون مقصده فيتخبّطون في آرائهم حول مسلكه، ولكنه واضح الرؤية لا يعرف الغِشّ ولا الكذب.

(١) يحيّر هؤلاء عفوي عنهم، وهذا ما يشجعهم على التمادي في الكيد لي، ورغم ذلك فأنا بعيد عن الغضب من أبناء قبيلتي.

(٢) يشنا بالهمز، ويحقّ للشاعر قصر الممدود: يبغض. وليس من طبع الشاعر اللؤم، بل المغفرة، وثمّة سبب يحمله على ذلك أنه كريم يُحبّ الكرماء ويكره البخل وأصحابه.

(٣) شِيمة: مزيّة أخلاقية. والشاعر على يقين بأن الكرم شيمة الأحرار وذلك طبع مغروس فيهم، ولذا فالطبع يغلب التطبّع.

(٤) الورى: الناس. يخاطب الشاعر ابن زياد متمنياً عليه ألّا تتمكّن العداوة من قلبه فتأكله، وذلك أن الزمان لا يبقى على حال، فهو دائم التبدّل في أحوال البشر.

(٥) مورود: يُرام شربه. ينصح الشاعر آل زياد أن يبتعدوا عن الظلم؛ فالظلم مرتعه وخيم، وهو موئل مرّ المورد، لا يُستساغ شرابه.

لَـقـد كُـنـتُـمُ فـي آلِ عَـبْـسٍ كـوَاكـبـاً
إذا غـابَ مِـنـهـا كـوْكـبٌ لاحَ كَـوْكـبُ[١]
خُسِفتم جَميعاً في بُرُوجِ هُبوطكُمْ
جهاراً كما كلُّ الكَوَاكبِ تُنكبُ[٢]

برق حسامي صادق

قال في إغارته على بني عامر:

[الوافر]

ألا يـا عَـبْـلَ، قَـدْ زَادَ الـتّـصَـابـي،
وَلَـجّ، الـيَـوْمَ، قَـوْمُـكِ فـي عَـذابـي[٣]
وَظَـلّ هَـوَاكِ يَـنْـمُـو كُـلَّ يَـوْمٍ،
كَـمَـا يَـنْـمُـو مَـشـيـبـي فـي شَـبَـابـي[٤]

(١) يحاول الشاعر أن يُثير في آل زياد النخوة، فتاريخهم حافل بالمكرمات والفضائل، فقد كانوا بمثابة الكواكب تنير دروب البائسين في القبيلة، وهم يتوارثون المجد جيلاً بعد جيل.

(٢) وأعمالكم جرّت عليكم ويلات أدت بكم إلى أن تزلّ أقدامكم وتهوي بكم إلى الحضيض. وتلك حال الكواكب تفقد شعاعها ووهجها.

(٣) التصابي: شدّة الشوق إلى الحبيب. لجّ: ألحّ. يخاطب الشاعر عبلة شاكياً لها همومه الناتجة عن شدّة تعلقه بها وحبه لها، فضلاً عمّا يُعانيه من مكر قومها وعملهم الدّؤوب على إبعادها عنه بشتّى الوسائل.

(٤) مسير متوازٍ، حيث لا لقاء، فحبّ ينمو باضطراد ويزداد مع مرور الزمن الذي لا يتوقّف عند حدّ، ويرسم معالمه على رأس الشاعر فقد بدأ الشيب يغزوه بلا هوادة؛ والمرأة بطبعها تميل إلى الشباب الفتيّ.